جريدة الحياة ١١ تشرين الأول ٢٠٠٢

جريدة الحياة
١١ ت ٢٠٠٢

وحدة الحياة عسيرة الاستيعاب... فتجزأ الزمن والوعي

بحث كثير من العلماء اضافة الى اينشتاين في المعادلات العلمية بغية ايجاد تفسير منطقي لظاهرة الوقت (كما ورد في مقالة السيد علي الشوك، «الحياة» في ٣ تشرين الأول/ اكتوبر ٢٠٠٢). والباحثون في مفهوم الزمن لم يسعوا لتشمل دراساتهم مفهوم اللازمان واللامكان، ولم ينطلقوا من حقيقة الإنسان نحو علة وجود الأزمنة في الأكوان! لذا سنبحث في الزمن من منطلق محوره – الإنسان، ليتسنى للقارئ إدراك طبيعة الزمن في الإنسان وأهمية مهمة الإنسان في ما بعد الزمن.

نبدأ بالسؤال: ما هي ظاهرة الوقت التي اضحت واقعاً لا مفر منه في حياتنا اليومية؟ ما هو ذلك الإيقاع (الزمن) الذي ما ظهر إلا ليجزئ سمفونية الوعي البشري بين نبضاته؟ وهل الثواني والدقائق والساعات نظام؟ أو تنظيم؟ قاعدة أو أداة؟

وبما انه في ثلاثية المكان يمكن للشيء نفسه ان يوجد في امكنة مختلفة مع اختلاف الوقت، حُدد الوقت كبعد رابع يوجد فيه هذا الشيء، في مكان محدد من فضاء المكان الثلاثي الأبعاد. فصار ذلك البعد الرابع (الوقت) يغلّف الأبعاد الثلاثة ويجعل المكان محدوداً، بحسب تفسير بعض العلماء.

هذه التفسيرات العلمية معتمدة اليوم، لكنها تبدو غير مكتملة، لأنها محصورة بمنطقها الأرضي المحدود. وكما شرح الأستاذ علي الشوك في مقالته، نظرية البعد الرابع بقيت ناقصة وغير مبرهنة علمياً. لعل السبب بنظري هو انها، أولاً، لا تشير الى سبب وجود الزمن في الحياة، وثانياً لا تشير الى علاقة الزمن بالإنسان، وكأن الزمن ظاهرة علمية مادية مستقلة عن الإنسان (...). والفلسفات تنظر الى الإنسان كواقع، والعلوم كنتيجة. لكن اياً منهما لم ينظر إليه كأصل!

ترى، هل يجب ان نبقى عند ظواهر مفهوم الوقت – الزمن وعند التفسيرات النظرية؟ ام علينا ان نتقصى جذوره، وأسباب دوران عجلته من خلال دراسة إمكانات جديدة؟ اضيف هنا ما لم تذكره المقالة بأن هذه الإمكانات تتضمن اخذاً في الاعتبار «علاقة الزمن بالإنسان وبالحياة العملية»! فإذا حاولنا ان نتفكّر في علاقة الإنسان بالزمن نرى ان الإنسان لا يستطيع استيعاب وحدة الحياة، لذلك تجزّأت في خبرات ومفاصل يتناولها الإنسان على الأرض واحدة تلو الأخرى في هنيهات حياته. الخبرات التي يتناولها ويتفاعل معها هي ما يسمى بالحاضر. اما ما مرّ عليه من خبرات وعي وتسجّل في ذاكرته الباطنية فهو ما يعرف بالماضي. ومجاهل مناطق الوعي التي لم يدخلها بعد، ولم يتفاعل معها هي ما يسمى بالمستقبل. وهذه لا تزال مطموسة في اغوار باطنه اللاواعي.

اعتبر أينشتاين ان للضوء سرعة واحدة فقط تعادل ٣٠٠٠٠٠ كلم في الثانية تقريباً، وهي اقصى سرعة ممكنة. بينما المطلعون على علوم الباطن او العلوم الحديثة وفيزياء الكمية، يعلمون ان الضوء الذي يذكره أينشتاين ليس سوى انعكاس للنور في طبقة الأرض، وأن هناك انعكاسات اخرى في طبقات أشف وأرقى من المادة، متفاوتة السرعات، إنما جميعها أسرع من المادة (على مثال سرعة شعاع الليزر في بخار السيزيوم). ولكن لا المكان يتبدل، ولا الوقت يتعدل، بل ما يقيس هذا المكان والوقت هو الذي يتغير! فإدراك الإنسان الذي يراقب هو الذي يختلف، وفقاً لاختلاف درجة الوعي.

بناء على ما تقدم ذكره، الانتقال عبر الماضي او المستقبل، وتخطي الزمن عملية وعي ترتبط بأجهزة الوعي التي اصطلح على تسميتها بالأجسام الباطنية، أو الخفية في الإنسان. وهذه لا علاقة لها بتكنولوجيا المادة، ولا بسرعة الضوء، ولا بأي من الاكتشافات والمركبات التي تحدثت عنها الأساطير والقصص. مدى النجاح في تخطي الزمن تحدده سرعة التذبذب في اجهزة الوعي تلك ومنافذها (الشاكرات Chakras) ولا سيما الجسم العقلي!

ختاماً، أستشهد بما ورد في احد كتب علوم باطن الإنسان (الإيزوتيريك) «اللاوعي ان حكى»: «محدود المكان الذي نحيا فيه. فاجتهد ان ترى البحر في القطرة... والشمس في الشعاع... بذلك تتخطى ابعاد المكان والزمان».

لبنان – المهندس زياد دكاش (باحث في فيزياء الكمية)